المقدمة

يطيب لي أن أقدم بين يدي القارئ الكريم سواء كان من متخصصى دراسة الآثار الإسلامية أو من المحبين لها مجموعة من الدراسات والأبحاث المتنوعة فى مجال من أهم مجالات هذا الحقل العلمي ، وهو مجال الكتابات الأثرية ،الذى لم يكد يبعد بنا عن دراسة الفروع الأساسية للآثار الإسلامية إلا وهو يلاصقها أو يعانقها والكتابة الأثرية للعمارة تزيدها على زينتها توثيقاً وتأصيلاً وهى للفنون الإسلامية تثبتها تحديداً وتقييماً وهى كذلك بالنسبة للتصوير الإسلامى فى المخطوطات تعطيه تشويقاً وتفعيلاً ومن ثم فإن دراسة الكتابات الأثرية الإسلامية توضح بجلاء الأهداف العامة من ورائها كالأغراض الجمالية والأغراض التسجيلية التذكارية .

ويمكن لنا أن نقرر أن شواهد وتراكيب القبور الإسلامية قد جمعت فى كتاباتها بين الغرضين جميعهما ، الجمالي والتسجيلي ، وذلك لأن المتتبع لدراسة أشكال الخطوط التى كتبت بها يرى مدى تنوعها وتطورها على مدار العصور التاريخية الإسلامية ليلحظ بشيء من اليقين أن مثل ها النوع من الكتابات قد حفظ لنا بصدق ما نستطيع أن نتطلع إليه من معايشة ومواكبة أنواع هذه الخطوط التى نقشت فى عصورها ونعاينها عين اليقين وذلك لدرجة حفظها الجيد .

ومن ناحية أخرى فإن الغرض التسجيلي أو التذكاري الذى تطرحه علينا مضامين هذا النوع من الكتابات لا يخفى مالها من أهمية كبيرة فى إجلاء الحقائق

obeikandl.com

وبيانها عن حالة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والفنية وربما السياسية أيضاً فى عهود كتاباتها ، فقد تحمل لنا تلك المضامين أسماء أعلام لأصحاب التراكيب والشواهد كما سنرى من خلال بحوث هذا الكتاب وكذلك أوضاعهم ومواقعهم فى المجتمع ومن ثم بيان حالة المجتمع كله فى ذلك الحين .

ويمكن القول بأن كتابات شواهد القبور الإسلامية بصفة عامة بعد نشرها ودراستها دراسة مستفيضة قد تمكن من نسبة المنشأة ، دينية كانت أم مدنية أم جنائزية إلى شخص بعينه أو مجموعة أشخاص ، كذلك لأنه فى بعض الأحيان نجد أن المنشأة - وذلك فيما بعد العصر الأيوبي على الأرجح قد يكون هو مركزها وحوله المدرسة أو السبيل والكتَّاب أو الجامع وربما يكون شاهد القبر أو تركيبته بما عليها من كتابات وثائق هامه فى نسبة المنشأة لصاحب الضريح أو عدم نسبتها إليه أو حتى بيان امتحان الضريح عليها فى حالة التثبت من نسبة المنشآت أو النشأة الملحق بها الضريح بما فيه من تركيبة وشاهد إلى شخص آخر.

كما أن كتابات الشواهد والتراكيب قد توضح لنا التأثيرات المتبادلة بين الشعوب الإسلامية فى نطاق الخلافة أو السلطنة أو الدولة الإسلامية كالتأثيرات العربية فى الفارسية والتركية العثمانية على المنطقة العربية وغير ذلك يستنبط من كتابة نقوشها بلغة معينة وحروف عربية أو بنسبة أشخاصها نسبة صحيحة إلى قطر بعينه وانتقاله للعيش فى قطر لآخر ومن ثم تحديد مثواه فيه ونرى ذلك جلياً فى بحث يتصل بمجوعة من الأتراك العثمانيين سكنوا مدينة رشيد فى العصر العثمانى ولما ماتوا آثروا أن يدفنوا بها على العودة إلى موطنهم الأصلى .

ويُنشر في هذا الكتاب خمسة بحوث تتصل جميعها بكتابات شواهد القبور

الأول عن بعض تراكيب وشواهد القبور فى القاهرة العثمانية [عددها عشر قطع] نشرت عام ١٩٩٢ م فى رسالة المؤلف لنيل درجة الماجستير فى الآثار الإسلامية ، وتتميز بتحديد مادتها من الرخام ومنهج بحثها القائم على الوصف والتحليل لشكل الكتابات ومضمونها .

والثانى بحث نشر عام ٢٠٠٠م بمجلة الأداب والعلوم الإنسانية بعنوان "دراسة أثرية لتراكيب وشواهد القبور برشيد فى العصر العثمانى وعصر أسرة محمد على" ق ١٠- ١٣ هـ / ١٦- ١٩ م "وتتضمن دراسة توضيحية وتحليلية لعدد ٣٧ قطعة أثرية من حيث المادة و الصناعة وأشكال الشواهد وقممها وما عليها من زخارف ، وأيضاً من حيث أنواع الخطوط المستخدمة عليها . ثم دراسة لمضمون الكتابات على هذه القطع الأثرية شاملة ما عليها من آيات قرآنية أو أحاديث شريفة ، آو عبارات دعائية وتلا ذلك أسماء وألقاب ووظائف أصحابها ، وبعد ذلك التأريخ لهذه الكتابات بالحروف أو بالأرقام أو بحساب الجمل والأخيرة يلزمها وجود بحور من الشعر الذى سطرت بها بعض هذه الكتابات .

والبحث الثالث بالكتابات يدور حول دراسة متخصصة لمجموعة من شواهد القبور العثمانية منقوشة باللغة التركية من جبانة رشيد فى القرنين ١٢- ١٣ هـ / ١٨- ١٩م[١٧ شاهداً] نشرت بمجلة الدراسات الشرقية عدد ٢٦ يناير لسنة ٢٠٠١م، ويتناول فى دراسته الوصفية لهذا العدد من الشواهد عرضاً لمادتها وتاريخها ومقاساتها واللغة التى كتبت بها النصوص مصحوبة بترجمة إلى اللغة العربية .

كما يتناول في الدراسة التحليلية أشكال الشواهد وأجزائها شاملة الرأس والعنق والجسد والقائم ، وصلة ذلك بالشخص صاحب الشاهد كما يذكر بالتحليل لغة الشواهد والتداخل الحضارى بين التركية والعربية فيها ، ويعرج البحث على مادة الشواهد الرخامية ومميزات النقش عليها دون غيرها وطريقة الكتابة بالأسطر الأفقية البارزة مع مقارنتها بمثيلاتها القاهرية من نفس الفترة ، هذا إلى دراسة زخارفها المتنوعة من هندسية ونباتية وأهمية الأخيرة على كتابات الشواهد العثمانية ، وبالإضافة لنوع الخط الذى كتبت به الشواهد وتطوره فى هذا العصر " خط الثلث " وما تلاه من عهد محمد على باشا ومحاولة لايجاد دلالات لبعض الرموز التى تلاحظ على الشواهد .

وتتناول الدراسة التحليلية لمضمون النصوص على الشواهد العبارات الإفتتاحية لها والأسماء التركية والعربية ونسيتها إلى أماكنها والألقاب التى ذكرت مصاحبة لهذه الأسماء وتأصيل وجود كل منها على شواهد القبور ، وكذلك العبارات الدعائية والحكم الدينية التى فضلها الأتراك والمأخوذ أكثرها من عبارات الرثاء والدعاء عند العرب ، وختاماً تحليل لوسائل التأريخ على هذا الشواهد بدقة تذكر اليوم والشهر والعام لأصحابها ومن ثم العرض للطرق المختلفة لإختصارات أسماء الشهور العربية على كتابات الشواهد .

والمبحث الرابع ، يدرس بالوصف والتحليل لشاهدى قبرين من دهلك " بإريتريا حالياً " محفوظين بالمتحف البريطانى فى لندن معاصرين للفترة الأيوبية فى مصر والشام أولهما مؤرخ ٢٩ صفر (٥٨٤ هـ / ٢٩ ابريل ١١٨٨ هـ ، والثانى مؤرخ

غرة رجب سنة ٦٠٧ هـ (١٩ ديسمبر سنة ١٢١٠ م) وتم دراسة الكتابات المنقوشة على الشاهدين من حيث أسلوب تنفيذها " بارز على أرضية غائرة " ، ومن حيث نوع الخط المستخدم فى نقشها وهو خط الثلث الذى شاع إستخدامه في شرق العالم الإسلامى فى تلك الفترة ، كما درست الزخارف وأنواعها الهندسية والنباتية علي الشاهدين ، وتعرض البحث لما اتفق عليه من مضمون كتابات الشاهدين وما اختلف منها ، فمن المتفق علية البسملة والصلاة علي النبي (ﷺ) ومكان الصناعة واسم الصانع ، والدعاء لصاحب الشاهد .

أما المختلف بينهما فيه ، فهو أرقام الآيات القرانية ، والأسماء والألقاب والوظائف في كل منها ، ووسيلة تحديد التاريخ وانفراد أحدهما بأبيات من الشعر تؤكد الربط بين الأرقام ووظائف صاحبه ومنها الأديب الفاضل وبين الذي يهدف اليه الكاتب من وراء كتابة هذه الأبيات الشعرية .

أما البحث الخامس فهو يتعرض بالدراسة والبحث للنقوش الكتابية علي شواهد القبور التركية العثمانية من خلال مثالين بارزين محفوظين بالمتحف البريطاني في لندن ، أحدهما لرجل وهو مؤرخ ذو الحجة ١٢٣٨ هـ (اغسطس سبتمبر ١٨٢٣م) ، والآخر لسيدة وهو مؤرخ ١١٩٩هـ (١٧٨٥م) – تبين بالدراسة أن الشاهد الأول كتب باللغة التركية وبحروف عربية نقشت بخط الثلث البارز علي الرخام ، والثاني كتب باللغة العربية وبنفس الخط علي قطعة رخامية كذلك متفقين في مادة الصناعة التي فضلها الأتراك العثمانيون في شواهد قبورهم وظهر الإختلاف في شكل رأس شاهد الرجل (عمامة) عن السيدة (قلنسوة)كذا من حيث جسد الشاهد

مستطيل مسلوب من أسفل قليلا ، وأيضا القائم السميك المكعب ، وتعرض البحث للزخارف علي الشاهدين وذلك من حيث الزخارف النباتية التي جاءت في المرتبة الأولي من الأهمية في كتابات شواهد القبور عامة والعثمانية خاصة ، كما درس بالبحث تحليل لحروف الخط الثلث التي نقشت به الكتابات علي الشاهدين والذي يظهر من خلالها التداخل والتركيب بين الحروف والكلمات وتحقق مميزات ونسب خط الثلث فيها (تحريف قطة قلمه ، والترويس ، والتقوير وتفريغ بعض الحروف)، كما درس أسلوب تنفيذ النقش الكتابي البارز علي الشاهدين في أسطر أفقية ومدي تأثيرها وتأثرها بمثيلتها في القاهرة من الفترة المعاصرة لها .

ومن حيث المضمون تم تحليل المضمون في الكتابات علي الشاهدين التي قسمت بالبحث إلي عبارات افتتاحية واسم ولقب ووظيفة صاحب الشاهد وطلب قراءة الفاتحة له والتأريخ لوفاته .

ولا شك أن دراسة أكثر من ثمانية وستين قطعة أثرية من شواهد القبور وفي هذا الكتاب تتنوع في أشكالها والمواد التي كتبت عليها وفي أشكال الخطوط التي كتبت بها ووسيلة نقشها وكذلك زخارفها هذا بالاضافة لما كانت تنطوي عليه مضامين نقوشها الكتابية من أهمية ملحوظة تحمل لنا تحديد الأيات الكريمة والأحاديث الشريفة والعبارات الدعائية وأسماء أصحابها وألقابهم ووظائفهم وأوصافهم وكذلك التاريخ لوفاتهم وطلب الدعاء لهم ، هذا فضلا عن ذكر صناعها أحيانا ومكان صناعتها مما كان له الأثر الكبير في بيان أهميتها ودورها في مجال النقوش الكتابية الإسلامية.